المحاضرة الثامنة

النواسخ الحرفية (الحروف المشبّهة بالفعل)

الأحرف المشبّهة بالفعل ستّة، هي: (إنّ، أنّ،كأنّ، لكنّ، ليت، لعلّ). تدخل هذه الحروف على الجملة الاسمية، فتنصب المبتدأ ويسمّى اسمها، وترفع الخبر ويسمّى خبرها. فالفرق بين عمل الحروف وعمل الأسماء أنّ الأفعال ترفع أوّلا ثمّ تنصب ثانيا، أمّا الحروف فتعمل عكس الأفعال، تنصب أوّلا، ثمّ ترفع ثانيا. مثل: إنّ اللهَ رحيمٌ بالعباد. وسمّيت مشبّهة بالفعل لمشابهتها الفعل في شكلها ومضمونها، فمن الناحية الشكلية أنّ منها ما هو ثلاثي الحروف (إنّ، أنّ، ليت)، ومنها ما هو رباعيّ (كأنّ، لعلّ)، ومنها ما هو خماسي، (لكنّ) إذا احتسبنا ألفا بعد اللام، مراعاة للنطق، لأنّ العبرة بالمنطوق. كما أنّها مفتوحة الآخر كالفعل الماضي. أمّا من ناحية المضمون فهي تتضمّن معنى الفعل، لأنّ التوكيد والتشبيه، والتمنّي، والترجي، معان تدلّ عليها الأفعال. وقد يحذف من (لعلّ) أوّلها فيقال (علّ)، كقول الحطيئة:

ولا تعتذر بالعُدم، علّ الذي طرا يظنّ لنا مالا، فيوسعنا ذمّا

معاني الأحرف المشبّهة بالفعل:

إنّ: الأصل فيها أنّها تفيد التوكيد، فهي تؤكد اتّصاف اسمها بخبرها، قال تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (يوسف 51). ومما يؤكّد اختصاصها بالدلالة على التوكيد أنّها تأتي في جواب القسم، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ ۙ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡ ۚ﴾، (المائدة 53)، وقال:﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾، (الأعراف 21). وقد تدلّ على معنى آخر مع التوكيد كالتعليل، قال تعالى:﴿ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ (المائدة87). وقال:﴿ وَأَحۡسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾، (البقرة 195). وقد تأتي للربط، فلا يحسن سقوطها، ولو حذفت اختلّ التركيب،

كما في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾. (البقرة 37).

أنّ: تدلّ أيضا على التوكيد، ولكنّ دلالتها عليه أضعف من (إنّ). وأهمّ وظيفة لها أنّها توقع الجملة موقع المفرد، أي أنّها تهيّئها لتؤدّي وظيفة المفرد في الجملة، فتكون في موضع الفاعل، أو المفعول، أو المجرور، فهي تؤوّل مع ما بعدها بمفرد بخلاف (إنّ)، وهذا هو أهم فرق بينهما. فمن مجيئها مع صلتها في موضع الفاعل قول النابغة:

أتاني ـ أبيت اللعن ـ أنّك لمتني وتلك التي أهتمّ منها و أُنصب.

المصدر المؤوّل من (أنّ) وما دخلت عليه (أنّك لمتني)، في محل وفع فاعل للفعل أتى. والتقدير أتاني لومك إيّاي. وجملة أبيت اللعن اعتراضية لا محل لها من الإعراب.

ومن مجيئها في موضع المفعول به قوله تعالى:﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ (إبراهيم 19). المصدر المؤوّل من (أنّ) وما دخلت عليه في محل نصب مفعول به للفعل ترى.

كأنّ : يرى النحاة أنّها مؤلّفة من (أنّ) مع كاف التشبيه، قال سيبويه سألت الخليل عن (كأنّ) فزعم أنّها (أنّ) لحقتها الكاف للتشبيه، ولكنّها صارت مع (أنّ) بمنزلة كلمة واحدة.

وكأنّ أبلغ في الدلالة على التشبيه من الكاف، فقولك: (زيدٌ كأنّه أسدٌ). أبلغ من قولك:(زيد كالأسد). ومن أجلّ الفروق التركيبية بين الكاف وكأنّ، أنّ المشبّه به مع الكاف لا يكون نكرة بحتة، فهو إمّا أن يكون معرفا بالألف واللاّم، مثل: (زيد كالأسد)، أو معرّفا بالإضافة، مثل: (مثلُ الجليسِ الصالحِ كبائعِ المسكِ)، أو نكرة غير محضة، كالمخصصة بوصف، قال تعالى:﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ﴾ (البقرة 19). فقد وصف الصيّب بقوله:(مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ). ومنه قولك: (فلانٌ كبعيرٍ هائجٍ). أمّا المشبّه به مع كأنّ فيأتي معرفة، ويأتي نكرة مخصصة، وغير مخصصة، تقول:(فلانٌ كأنّه البدرُ)، و(كأنّه بدرُ التمامِ)، و(كأنّه بدرٌ مضيءٌ)، و(كأنّه بدرٌ).

لكنّ: المشهور في لكن أنّها للاستدراك، وهو تعقيب يذكر لدفع توهّم. فإذا قلت: (ما زيدٌ شجاعا) توهّم السامع أنّه بخيل، لما بين الجبن والبخل من تلازم، فتدفع هذا التوهّم بإضافة: (لكنّه كريم)، وبهذا يكون التركيب كاملا هو: (ما زيدٌ شجاعا ولكنّه كريمٌ).

وضابط الاستدراك أنّ ما بعد (لكن) يناقض أو يعارض ما قبلها، كما في المثال السابق، فإن كان موافقا له أفادت (لكن) التوكيد، كقولك: (لو جاء زيد لأكرمته ولكنّه لم يجئ)، فعدم المجيء معلوم من لو الامتناعية. وتعمل لكن إذا كانت مشدّدة (لكنّ)، فإن كانت مخففة (لكن) لا تعمل.

ليت: تفيد التمنّي، وهو طلب المستحيل، مثل: (ليت الشباب يعود يوما)، أو طلب ما هو ممكن ولكنّه مستبعد، كقول الفقير المعدم: (ليت لي قنطارا من الذهب)، فإن دخلت على متوقّع أفادت الترجّي، كقول المتنبّي: ليت الغمام الذي عندي صبيره يزيلهنّ إلى من عنده الدّيمُ.

من الاستعمالات الشائعة في العربية عبارة:(ليت شعري)، كقول مغترب: (ليت شعري هل أعود إلى الأهل). والشعر هنا معناه الشعور والفطنة، وخبر ليت هنا عند جمهور النحاة محذوف وجوبا تقديره حاصلٌ. وذهب بعضهم إلى اعتبار الاستفهام خبرا، وأنكر بعضهم هذا، ووجه فساده عندهم أنّه لا يُخبر بالاستفهام. وهو إنكار فيه نظر.

لعلّ: هي لتوقّع شيء محبوب أو مكروه، ويسمّى توقّع المحبوب ترجّيا، كقوله تعالى:﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾، (البقرة 189). وتوقّع المكروه إشفاقا مثل: (لعلّه يهينك)، والغالب مجيئها للترجي. وقيل هي لمطلق التوقّع، ولا تختصّ بكونه محبوبا أو مكروها، وجعلوا منه قوله تعالى:﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾، (هود 12). وقيل أنّها قد تأتي للتعليل كما في قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾، (طه 44).